بسم الله الرحمن الرحيم

« الفأل » المُفترَى عليه !

د. هيفاء بنت ناصر الرشيد

لا شك أن تحرير المصطلح وتحديد مفهومه مسألة في غاية الأهمية ، لا سيما إذا كان الأمر متعلقاً بتقرير مسألة فقهية أو اعتقادية . وقد حصل في الفترة الأخيرة خلطٌ غريب بين بعض المصطلحات الشرعية، والمفاهيم الفلسفية البعيدة عنها كل البعد ، حتى التبس الأمر على كثير من الناس وظنوا أن تلك المفاهيم المنحرفة لا تتعارض مع الشرع ، أو ظنوا أنها جزء منه .

ومن تلك المصطلحات المثيرة للجدل : الفأل ، والتفاؤل ، والظن بالله سيئُه وحسنه ، وعلاقة كل منها بما يُسمى : قانون الجذب .

وفي السطور التالية سأتناول كل واحد من هذه المصطلحات بالتعريف والتوضيح المقتضب من المنظور الشرعي السليم ، لتتضح الفروق بينها وبين القانون الفلسفي – الخطير– الذي أصبحت تُقرن به .

أولاً : الفأل .

ورد هذا اللفظ في عدة مواضع من السنة النبوية في معرض المدح ، أو الإعجاب ، ومن ذلك قوله ﷺ : [**لا طيرة ، وخيرها الفأل**] [1]، وقوله عليه الصلاة والسلام : [**لا عدوى ولا طيرة** ،

[1] أخرجه البخاري في صحيحه : ٧ / ١٣٥ –كتاب : الطب – باب : الطيرة – برقم : ٥٧٥٤ ، وغيره .

ويعجبني الفأل الصالح] [٢] . ولما سئل : ما الفأل يا رسول الله ؟ فسَّر النبي ﷺ هذا المصطلح تفسيراً واضحاً بيّناً فقال: [**الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم**] [٣]، وقال : [**الفأل الصالح** : **الكلمة الحسنة**] [٤].

فالفأل هو ما يُسَر به الإنسان ويَستَبشِر به عَرَضاً ، وهي طبيعة بشرية ليس لها تعلق بإقدام المرء أو إحجامه . يقول **ابن القيم** رحمه الله : « ليس بالإعجاب بالفأل ومحبته شيء من الشرك؛ بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة ، وموجب الفطرة الإنسانية التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها ، والله جعل في غرائز الناس الإعجاب بسماع الاسم الحسن ومحبته ، وميل نفوسهم إليه . وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم الفلاح والسلامة والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز والظفر ونحو ذلك » [٥] .

والفأل لا يكون بقصد من الإنسان ولا بسعي منه ، بل يحصل اتفاقاً فينشرح به الصدر ، قال **ابن تيمية** رحمه الله : « والفأل الذي يحبه ﷺ هو أن يفعل أمراً أو يعزم عليه متوكلاً على الله، فيسمع الكلمة الحسنة التي تسره » [٦]. وقال الشيخ **حافظ الحكمي** : « ومن شرط الفأل أن لا يُعتمد عليه ، وأن لا يكون مقصوداً – بل أن يتفق للإنسان ذلك من غير أن يكون له على بال » [٧] . وشدد **النفراوي** على ذلك في (الفواكه) حيث قال : « هذا إذا لم يقصده ، وأما إذا قصد سماع

---

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه : ٧ / ١٣٥ – كتاب : الطب – باب : الطيرة – برقم : ٥٧٥٦ ، وغيره .

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه : ٧ / ١٣٥ – كتاب : الطب – باب : الطيرة – برقم : ٥٧٥٤ ، وغيره .

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه : ٧ / ١٣٥ – كتاب : الطب – باب : الطيرة – برقم : ٥٧٥٦ ، وغيره .

[٥] مفتاح دار السعادة : ٢ / ٢٤٤ .

[٦] مجموع الفتاوى : ٢٣ / ٦٦ .

[٧] معارج القبول : ٣ / ٩٩٣ .

الفأل ليعمل على ما يسمع من خير أو شر فلا يجوز ، لأنه من الأزلام المحرمة التي كانت تفعلها الجاهلية » [٨] .

كما أن الفأل لا يُعتبر سبباً لحصول المرغوب ، ولا دليلاً على قربه ، إذ لا يُتصور أن يعتقد النبي ﷺ أن سماع قول القائل : (يا سالم) سبب في شفاء المريض ،أو(يا واجد) سبب في استرجاع الضالة ، بل هو كما في نص الحديث مجرد كلمة « تسُره » لطبيعة الإنسان وميله الفطري .

ومما يدل على ذلك ما قررته النصوص الواردة في تحريم الطيرة ، وأنها من الشرك ، والفأل من جنس الطيرة وإنما استثناه منها النبي ﷺ لما فيه من معاني الرجاء وإحسان الظن ، أما إذا اعتقد الإنسان أن الفأل سبب في دفع الضر أو جلب المنفعة رجع حكمه إلى الطيرة وكان كحكمها ، وكذلك إن كان إقدام الإنسان أو إحجامه بسبب الفأل ، قال الشيخ **ابن عثيمين** رحمه الله في (القول المفيد) : « إن اعتمد عليه – أي الفأل – وكان سببا لإقدامه ؛ فهذا حكمه حكم الطيرة ، وإن لم يعتمد عليه ولكنه فرح ونشط وازداد نشاطاً في طلبه ؛ فهذا من الفأل المحمود » [٩] .

فالمقصود : أن الفأل الذي كان يُعجب النبي ﷺ هو الكلمة الطيبة ونحوها يسمعها الإنسان عرضاً دون تقصد ؛ فتسره وينشرح بها صدره ، مع عدم تأثيرها في مضيه أو ردّه ، ودون أن يعتقد أنها سبب مباشر لحصول المرغوب .

---

[٨] الفواكه الدواني : ٢ / ٣٤٢ .

[٩] القول المفيد : ٥٨٨ .

ثانياً : التفاؤل .

لم يرد لفظ « التفاؤل » – حسب اطلاعي – في السنة مطلقاً ، وإنما الذي ورد لفظ « الفأل » ، وبينهما فرق لطيف ، فالتفاؤل ليس هو الفأل ، بل فيه زيادة عليه تقتضي القصد والحركة والتفاعل ، فالتفاؤل هو ما يحصل عند الفأل ، قال **ابن فارس** : « الفأل : ما يُتفاءل به » [١٠] ، وفي القاموس المحيط : « وقد تَفاءَلَ به ، وتَفَأَّلَ » [١١] .

ويُطلق التفاؤل في هذا العصر الحديث ويراد به أحد ثلاثة معاني :

- **أولها** : التفاؤل بمعنى الاستبشار والسرور بالفأل ، وهذا من الأمور المشروعة المستحبة ، وهو الذي كان يُعجب النبي ﷺ . قال الشيخ **سليمان بن عبدالله** : « ومعنى التفاؤل مثل أن يكون رجل مريض فيتفاءل بما يسمع من الكلام ، فيسمع آخر يقول : يا سالم ، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول : يا واجد ، فيقع في ظنه أنه يبرأُ من مرضه ، ويجد ضالته » [١٢] قال : « لأن الناس إذا أمّلوا فائدة الله ، ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوي ، فهم على خير ، ولو غلطوا في الرجاء ، فإن الرجاء لهم خير ، وإذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله ، كان ذلك من الشر » [١٣].

- **ثانيها** : التفاؤل بمعنى الرجاء ، كأن يقال للمريض : تفاءل بالشفاء ، أو للطالب : تفاءل بالنجاح ، ويراد به : أرجُ الله أن يشفيك أو يرزقك النجاح . والرجاء (وإن كان في إطلاق

---

[١٠] مقاييس اللغة – ابن فارس : ٤ / ٤٦٨ .

[١١] القاموس المحيط – الفيروز آبادي : ١٠٤٠ .

[١٢] تيسير العزيز الحميد : ٣٧٢ .

[١٣] تيسير العزيز الحميد : ٣٧٢ .

التفاؤل عليه نظر) من العبادات القلبية المحمودة ، ولكنه يختلف عن التمني . قال **ابن القيم** رحمه الله : « الرجاء يكون مع بذل الجهد واستفراغ الطاقة في الإتيان بأسباب الظفر والفوز ، والتمني حديث النفس بحصول ذلك مع تعطيل الأسباب الموصلة إليه ، قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ ﴾ فطوى سبحانه بساط الرجاء إلا عن هؤلاء » [١٤] .

ولكن العبد الراجي لا يتحقق من حصول الذي يرجوه ، وإنما دائماً يخشى فواته ، قال **شيخ الإسلام** عليه رحمة الله : « الرجاء يستلزم الخوف ، ولولا ذلك لكان أمناً ؛ فأهل الخوف لله والرجاء له هم أهل العلم الذين مدحهم الله » [١٥] ، وكذا قال **أبو سليمان الدّارانيّ** رحمه الله : « من حسُن ظنه بالله ﷻ ، ثم لا يخاف الله ، فهو مخدوع » [١٦] .

- **ثالثها** : التفاؤل بمعنى توقع حصول المرغوب بعينه ، وهو معنى شائع عند كثير من الناس ، وهذا إذا كان مبعثه الرجاء ، فهو كالسابق ، وإن كان المقصود منه أن هذا « التفكير » سبب لحصول عين المرغوب ، فهذا هو محل النزاع الذي من أجله حرر هذا المقال .

ومن قال بهذا المعنى استدل عليه – في الغالب – بواحد من دليلين :

الأول : الأثر المشهور : (تفاءلوا بالخير تجدوه) ، حيث يُظن أنه من حديث المصطفى ﷺ ، والصحيح أنها لا تصح نسبته للنبي عليه الصلاة والسلام ، وليس في أي من كتب السنة ، وإنما هو من أقوال الناس التي لا تُعد حجة ، بل تحتمل الصواب والخطأ .

---

[١٤] الروح : ٢٤٥ .

[١٥] الإيمان : ٢٠ .

[١٦] حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا : ٤٠ .

وليس المقصود – هنا – ذم التفاؤل ، فهو خلق حسن ، قد يكون نافعا للنفس والجسد ، وربما امتُدح شرعاً لما يُحدثه من حسن الرجاء ، وهي عبادة قلبية محمودة . وإن كان استخدام لفظ « الرجاء » هو الأولى عندي للتعبير عن هذا المعنى دون إحداث لبس .

~ الثاني : قول الله ﷻ في الحديث القدسي : [**أنا عند ظن عبدي بي**] [17] برواياته المختلفة ، وهو ما سيتم تناوله في الفقرة التالية .

ثالثاً : الظن .

تكلم علماء السلف عن معنى قول الله ﷻ : [**أنا عند ظن عبدي بي**] ، فكان من المعاني التي حُمل عليها هذا الحديث :

١- رجاء رحمة الله ﷻ عند اقتراب لقائه ، قال **ابن أبي العز** رحمه الله بعد سياقه الحديث : « وفي صحيح مسلم عن جابر ﷺ ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بثلاث : [**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه**] ، ولهذا قيل : إن العبد ينبغي أن يكون رجاؤه في مرضه أرجح من خوفه ، بخلاف زمن الصحة ، فإنه يكون خوفه أرجح من رجائه » [18]. وكذا قال القرطبي : « وينبغي له أن يكون خائفا من ذنبه، راجيا عفو ربه، ويكون الخوف في صحته أغلب عليه، إذا لا يعلم بما يختم له ، ويكون الرجاء عند حضور أجله أقوى في نفسه ، لحسن الظن بالله ، قال رسول الله ﷺ : [**لا يموتن أحدكم إلا وهو**

[17] أخرجه البخاري في صحيحه : ٩ / ١٢١ – كتاب : التوحيد – باب : قول الله تعالى : ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ – برقم : ٧٤٠٥ ، وغيره .

[18] يُنظر مثلاً : إثار الحق لابن الوزير : ٣٦٤ ، و تفسير ابن كثير : ٢ / ٨٨ ، و فتح الباري لابن حجر : ١١ / ٣٠١ ، و غيرها .

يحسن بالله الظن] » [١٩] ، وبمثله قال غير واحد من السلف [٢٠]. وقال **الخطابي** في هذا الحديث « يعني في حسن عمله ، فمن حسن عمله حسن ظنه ، ومن ساء عمله ساء ظنه » [٢١] . وقد رجح هذا المعنى **ابن حجر** بقوله رحمه الله : « وهو – كما قال أهل التحقيق – مُقيّد بالمحتضر ، ويؤيد ذلك حديث [**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله**] » [٢٢] .

٢- ظن الإنسان بأن الله يرحمه ويغفر له ، أو يثيبه ويعاقبه ، ونحو ذلك ، قال **ابن بطال** : « وقوله : [**أنا عند ظن عبدى بى**] لا يتوجه إلا إلى المؤمنين خاصة ، أى : أنا عند ظن عبدى المؤمن بى ، وفى القرآن آيات تشهد أن عباده المؤمنين – وإن أسرفوا على أنفسهم – أنه عند ظنهم به من المغفرة والرحمة » [٢٣] . **وقال القاضي** : « قيل معناه : بالغفران له إذا استغفر ، والقبول إذا تاب ، والإجابة إذا دعا ، والكفاية إذا طلب الكفاية ، وقيل المراد : به الرجاء ، وتأميل العفو ، وهذا أصح » [٢٤]. وفي شرح صحيح مسلم **للنووي** : « قال العلماء : معنى (حسن الظن بالله تعالى) أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه ، قالوا : وفي حالة الصحة يكون خائفا راجيا ويكونان سواء ، وقيل : يكون الخوف أرجح فإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء » [٢٥] . وقال **العيني** في (عمدة القاري) : « يعني : إن ظن أني أعفو

---

[١٩] تفسير القرطبي : ١ / ٢٠ .

[٢٠] شرح البخاري ابن بطال : ١٠ / ٩٩ .

[٢١] طرح التثريب : ٨ / ٢٣٣ .

[٢٢] فتح الباري ١٣ / ٣٨٦ .

[٢٣] ابن بطال : ١٠ / ٥٠٠ .

[٢٤] شرح السيوطي على مسلم : ٦ / ٤٤ .

[٢٥] شرح النووي ١٧ / ٢١٠ .

عنه ، وأغفر له ، فله ذلك ، وإن ظن العقوبة والمؤاخذة ، فكذلك » [٢٦] . وفي باب استجابة الدعاء ، قال **ابن رجب** : « فالإلحاحُ بالدعاء بالمغفرة ، مع رجاء الله تعالى ، موجبٌ للمغفرة ، والله تعالى يقول : [**أنا عندَ ظنِّ عبدي بي، فليظنَّ بي ما شاء**] » [٢٧] .

ومن القواعد المهمة في مفهوم (حسن الظن بالله) : أنه لا يكون **إلا** مقترناً بالعمل ، قال **الحسن** : « إن قوماً أساءوا العمل ، وقالوا : نحسن الظن ! ولو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » ، وقال : « إن قوما ألهتهم أماني المغفرة ، حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة ، يقول : إني لحسن الظن بربي ، وكذب ، لو أحسن الظن بربه لأحسن العمل » [٢٨]. وقال **ابن القيم** رحمه الله: « ولا ريب أن حسن الظن إنما يكون مع الإحسان ، فإن المحسن أحسن الظن بربه أن يجازيه على إحسانه ، وأن لا يخلف وعده وأن يقبل توبته » [٢٩] .

وأكد **ابن الجوزي** رحمه الله اشتراط العمل بقوله : « اعلم أن صدق رجاء المؤمن لفضل الله ﷻ وجوده يوجب حسن الظن به ، وليس حُسن الظن به ما يعتقده الجهال من الرجاء مع الإصرار على المعاصي ، وإنما مثلهم في ذلك كمثل من رجا حصادا وما زرع ، أو ولدا وما نكح . وإنما العارف بالله ﷻ يتوب ويرجو القبول ، ويطيع ويرجو الثواب » [٣٠] .

---

[٢٦] عمدة القاري – العيني : ٢٥ / ١٠١ .

[٢٧] جامع العلوم والحكم : ٣ / ١١٦٠ .

[٢٨] كشف المشكل من حديث الصحيحين : ابن الجوزي : ٣ / ٣٢٣ .

[٢٩] الجواب الكافي : ٢٥ .

[٣٠] كشف المشكل من حديث الصحيحين : ابن الجوزي : ٣ / ٣٢٣ .

وقديماً قال الشاعر :

ترجو النَّجاة ولم تسلُك مسالِكها إن السّفينةَ لا تَجــرِي على اليبسِ

فإحسان الظن متعلقٌ بالعمل ، ولا يمكن أن ينفصل عنه في أمر الدنيا ، والدين ، والظن المجرد من العمل ليس من الرجاء ولا من حسن الظن ، بل هو من الأماني المنهي عنها شرعاً . ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه ، راجياً أن الله يقبله ويغفر له ، فقد وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد ، فإن اعتقد – أو ظن – أن الله لا يقبلها ، وأنها لا تنفعه ، فهذا هو اليأس من رحمة الله ، وهو من الكبائر ، ومن مات على ذلك وكل إلى ما ظن ، وأما ظن المغفرة مع الإصرار ، فذلك محض الجهل والغرة ، وهو يجر إلى مذهب المرجئة [٣١] .

فالمقصود : أن (حسن الظن) عند السلف لم يُفسر بغير ما سبق ، فهو دائر بين المعاني التالية :

- الرجاء عند الموت .
- رجاء الرحمة والمغفرة .
- ظن الإجابة عند الدعاء .
- ظن القبول عند التوبة .
- ظن قبول العبادة [٣٢].

[٣١] فتح الباري ١٣ / ٣٨٦ من قول أبي جمرة بتصرف يسير .

[٣٢] يُنظر : طرح التثريب : ٣ / ٢٦٩ ، وفيض القدير للمناوي : ٤ / ٤٩٠ .

أما أن يكون حديث [**أنا عند ظن عبدي بي**] بمعنى : (تفاءلوا بالخير تجدوه) ، وأن ما يتوقع الإنسان حصوله يحصل – فلا أعلم احداً من السلف قال به .

بل إن حسن الظن بالله يستلزم إحسان الظن بتدبيره ﷻ ، وأن الذي يختاره الرب للعبد خير مما يختاره لنفسه ، وفي دعاء الاستخارة المأثور : [**اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب ... الحديث**] [٣٣]، وفي دعاء آخر من السُّنة النبوية : [**اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي**] [٣٤].

ولذلك فإن ذكر السلف لحديث [**أنا عند ظن عبدي بي**] لم يكن قط في أبواب القدر ، وإنما أوردوه ضمن أحاديث الرجاء وإنجاز الوعد ، وفي معاملة الرب عبده من حيث الثواب والعقاب والجزاء والمغفرة ونحو ذلك مما يتعلق بالآخرة .

وفي المقابل فإن « سوء الظن » لا يعني الاعتقاد بأن الله لا يحقق للإنسان عين رغبته ، بل فسّره علماء السلف بما يتناسب مع تفسيرهم لحسن الظن .

والأصل في سوء الظن قوله تعالى : ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ، وقوله ﷻ : ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ ، وقوله : ﴿ بل ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ .

---

[٣٣] أخرجه البخاري في صحيحه : ٨ / ٨١ – كتاب : الدعوات – باب : الدعاء عند الاستخارة – برقم : ٦٣٨٢ ، وغيره .

[٣٤] أخرجه الإمام أحمد في مسنده : ٣٠ / ٢٦٥ برقم : ١٨٣٢٥ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع : ١ / ٢٧٩ برقم : ١٣٠١ .

فهذه الآيات وردت في الكفار والمنافقين الذين اعتقدوا أن الله لن ينصر نبيه ،وقد حصل خلاف ما ظنوا [٣٥] ، وفي اعتقادهم ما لا يليق بأفعال الله وصفاته .

وقد ذكر **ابن القيّم** أنواع إساءة الظن بالله باعتبار عموم اللفظ لا خصوص السبب ، فجعلها من الأنواع التالية [٣٦] :

- أن يقنط العبد من رحمة الله .
- أن يظن أن الله لا ينصر دينه ونبيه .
- أن يظن أن الله يعذب أولياءه ويساويهم بأعدائه .
- أن يظن أن الله يترك خلقه سدى .
- أن يظن أن الله يضيّع عمله الصالح .
- أن يظن أن له ولدا أو شريكاً .
- أن يظن أن الله لا يعوضه خيرا مما ترك لأجله .
- أن يظن أن الله لا يجيب الدعاء .
- أن يظن أن الله يثيب العاصي كما يثيب المطيع .
- أن يظن أن غير الله يخلصه من عذابه .

فظن السوء متعلق بالقنوط من رحمة الله ، والخلط بين ثوابه وعقابه، والإيمان بصفاته ، وليس اعتقاد أن الله لا يلزمه أن يحقق للإنسان عين مرغوبه من إساءة الظن ، والقول بأن القدر – بإطلاقة – يجيء ويذهب حسب ما يظنه الإنسان، ويتوقعه هو إلى سوء الظن أقرب منه إلى حسنه ، قال **ابن**

[٣٥] وهذا ينقض قول من قال بأن الأمر يحصل بمجرد ظنه وتوقعه ، فإن ما ظنه هؤلاء المنافقين لم يتحقق .

[٣٦] انظر : زاد المعاد : ٣ / ٢٠٨ .

القيم رحمه الله : « فأكثر الخلق ، بل كلهم إلا مَن شاء الله يظنون بالله غيرَ الحقِّ ظنَّ السَّوْء ، فإن غالبَ بنى آدم يعتقد أنه مبخوسُ الحق ، ناقصُ الحظ ، وأنه يستحق فوقَ ما أعطاهُ اللهُ ، ولِسان حاله يقول : ظلمني ربِّي ، ومنعني ما أستحقُّه » [٣٧] .

رابعاً : قانون الجذب .

يُعرف **مايكل جيه. لوسيير** قانون الجذب بقوله : « يجذب المرء إلى حياته كل ما يُكرس له انتباهه وطاقته وتركيزه ، سواء كان سلبياً أو إيجابياً » [٣٨] ، ويقول **صلاح الراشد** : « قانون الجذب ينص على أننا نجتذب الأحداث التي في حياتنا ، وأننا نجتذب إلينا ما نجتذب وفق تجاذب المتشابهات لبعضها البعض » [٣٩] .

ولسنا بصدد الرد على قانون الجذب ، وبيان مخالفته الصريحة لمعتقد المسلم في صفات الله تبارك وتعالى وفي قضائه وقدره ، فذلك رد يطول بسطه ، وإنما المقصود أن هذا « القانون » لا علاقة له بالمفاهيم الشرعية التي تم تناولها سابقاً ، كاستحسان رسول الله ﷺ للفأل.

إن قانون الجذب مبدأ قديم له أصل في الفلسفة الشرقية وفي الفكر الباطني الثيوصوفي ، وهو قائم على أن الفكر هو الذي يخلق الواقع ، وأن ما يُفكر فيه الإنسان يتجلى عبر تحول الفكرة المجردة إلى حدث أو وجود محسوس ، فالإنسان مسؤول مطلق عن حياته ، وهو الذي يصنع قدره بنفسه !

---

[٣٧] زاد المعاد : ٣ / ٢١١ .

[٣٨] قانون الجذب – مايكل جيه لوسيير : ٢٠ .

[٣٩] قانون الجذب – صلاح الراشد : ١٢ .

وهذا المعنى القبيح لو أُبقي على صورته الفلسفية الأصلية لكان بطلانه ظاهرا ، ولكنه أُلبس لباساً شرعياً ، متستراً بتفسير مُبتدع محدث لنصوص الوحيين ، حتى التبس الأمر على عوام الناس – بل على بعض طلاب العلم – حين ظنوا أن هذا القانون لا يخالف الشرع ، أو أنه من الدين أصلاً . وهذا ظلم للشريعة وتعد سافر على مدلول النص الشرعي ، فحُمّلت النصوص من المعاني الفلسفية ما لا تحتمل ، وطبق الاصطلاح الشرعي على تلك المعاني .

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** : « وهذا لو كانت تلك المعاني التي يذكرها الفلاسفة صحيحة ماجاز ، بل كان من الكذب على الله ورسوله أن يُقال : إنه أرادها ، فكيف وأكثر تلك المعاني باطلة ؟ » [٤٠] .

ولعلي أشير إلى أبرز الفروق بين المفهوم الشرعي للفأل والظن وبين المفهوم الفلسفي لقانون الجذب ، ولو تأمل القارئ أقوال المتأثرين بهذه الفلسفة ، وأثرها على نظرتهم للكون ولأنفسهم ، لعلم – يقيناً – أن الرسول ﷺ لا يمكن أن يأمر بهذا ، ولا يعجبه ، ولا يستحسنه ، وهو القائل في شرك لفظي يسير [٤١] : [**جعلتني لله عدلاً ؟! بل : ما شاء الله وحده**] [٤٢] .

ومن تلك الفروق ما يلي :

- الفأل الذي كان يُعجب النبي ﷺ سرور واستبشار عرضي لا يُتقصّد ، وقانون الجذب يُقصد ويُتعمد ، وتؤلف فيه مئات الكتب وتقام الدورات لأجله .

---

[٤٠] بغية المرتاد : ٢١٩ .

[٤١] وهو قوله : ما شاء الله وشئت .

[٤٢] أخرجه الإمام أحمد في مسنده : ٤ / ٣٤١ برقم : ٢٥٦١ ، وغيره ، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة : ١ / ٢٦٦ برقم : ١٣٩ .

- الفأل لا يُعد سبباً في حصول المرغوب ويُعد من الطيرة الشركية حال اعتقاد ذلك ، بينما الفكر في قانون الجذب ليس مجرد سبب في حدوث الأمر – بل هو المحدِث له والصانع .

- أن المسلم لا يمضي بسبب الفأل كما لا يحجم بسبب التطير تأكيداً لانعدام العلاقة السببية ، والكلمة والفكرة عند القائلين بالجذب تتجاوز السببية إلى الخلق والإيجاد .

- أن التفاؤل بمعنى الرجاء متعلق بالعمل وإن تجرد منه فهو أماني ، أما قانون الجذب فيعمل على التفكير وحده ، ولا يلزم معه العمل [٤٣].

- أن الراجي لا يقطع بحصول ما يرجوه ، بينما سمي قانون الجذب بذلك لأنه لا يمكن أن يتخلف في رأيهم .

- أن الرجاء يقترن بالخوف فالراجي يخاف فوات ما يرجو ، وقانون الجذب مبني على اليقين .

- أن إحسان الظن بالله مرتبط بالعمل كذلك ، ولا يُشترط العمل في قانون الجذب .

- حسن الظن بالله هو في باب الأعمال القلبية وصفات الله ، وقانون الجذب هو في صلب القدر .

- أن من حسن الظن بالله التسليم أنه ﷻ أحكم وأعلم ، وأن ما يكتبه لك خير مما تريده لنفسك ، وقانون الجذب يُلغي الحكمة الإلهية في القدر ، ويجعل الحكم فيه إرادة الإنسان وفكره ، ويربطه بقانون الكارما الهندوسي .

---

[٤٣] القائلون بقانون الجذب يختلفون في تفصيل ذلك ، فبعضهم ينفي العمل بالكلية ، وبعضهم يُقر بلزوم العمل لكن بصورة مشوهة تختلف عنها في المنظور الشرعي ، فمثلاً : لو أراد أحدهم أن تحصل وظيفة فإنه يمكنه جذبها إليه عن طريق إعمال الفكر المجرد ، فسيجد الإعلانات عن الوظائف تأتيه من كل مكان ، كالصحف واللوحات الإعلانية ، وربما تحدث عنها الناس في مجالسه ، أو نحو ذلك ، فهو جذب إلى نفسه هذه الإمكانيات ، ولكن يلزمه التقدم لتلك الوظيفة التي جذب إلى نفسه وعروضها .

- أن من يُحسن الظن بربه يوقن أن عليه فعل الأسباب لا تحقيق النتائج ، بينما النتيجة في قانون الجذب هي بيد الإنسان نفسه .

- أن المنهج الشرعي قائم على الاعتماد والتوكل على الله ﷻ مع العمل والكسب ، وقانون الجذب قائم على الاعتماد الكلي على قدرات الذات وعمل الفكر .

- وأخيراً ، لا يختلف مسلمان في أن المعطي والمانع هو الله ﷻ ، وأنه سبحانه وتعالى عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء ، ولكن الذي يعطي ويمنع عند القائلين بالجذب لا يُدرك الفرق بين الرسائل المنفية والمثبتة ، فإن قلت : لا أريد المرض أعطاك المرض ، وإن فكرت أنك لن تفشل أعطاك الفشل ، فمن هو المانع المعطي عند هؤلاء يا ترى ؟

هذا والله تعالى أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً